

## إسرائيل 2023: أكثر عنصرية وتطرفاً وأقل أماناً واستقراراً

بعد أكثر من عام قضاها رئيساً للمعارضة، عاد بنيامين نتياهو لرأس المؤسسة السياسية في إسرائيل، اثر نجاحه في تشكيل حكومته السادسة، التي تعد الأكثر تطرفاً وعنصرية منذ قيام إسرائيل عام 1948، لما تحويه من خليط من الفاشيين والمتعصبين دينياً واليمينيين

سيكون من شأن هذه الحكومة ان تتسبب لإسرائيل بتهديدات، تضاف الى التهديدات القائمة وتعمقها، ليس في ما يتعلق بالخارج فقط، بل وايضا في الداخل ربطا بما تسمى "القبائل الاسرائيلية" والتعايش في ما بينها، حيث التصارع على هوية الدولة والعلاقة بالآخر.

عاد بنيامين نتياهو الى السلطة لاثام مهمة خاصة: تحويل إسرائيل الى دولة استبدادية وعنصرية تضع اليهودية التقليدية فوق حقوق الانسان، وتتعامل مع المواطنين العرب كاعداء لها، وتقضي على التوازنات التي فرضها سلك قضائي قوي ومستقل. وصل رئيس الوزراء الى السلطة عبر تشكيل كتلة برلمانية تعتبر الافكار الديمقراطية والليبرالية منتجا اجنيا يهدف الى اضعاف هوية الدولة اليهودية.

وما ان المصلحة الشخصية لدى نتياهو هي الغالبة، وتحديد ما يتعلق بمنع استمرار محاكمته في قضايا فساد ورشي، فقد كان ملزما بأن يشكل حكومة "كيفما كان"، فيما حلفاؤه من اليمين المتطرف والفاشيين والاحزاب الدينية (الحريديم) ادركوا حاجته هذه، فعمدوا الى الافراط في مطالبهم. قبل نتياهو الابتزاز وخضع له، لتأتي حكومته السادسة عجائبية وهجينة وخليطاً من التناقضات ومخالفة للقوانين والانظمة التي عمل على تغييرها.

نادرا ما تنفذ الاتفاقيات السياسية الاسرائيلية بحذافيرها، لكنها تكشف نيات المسؤولين وتشير الى وجهة صانعي السياسة. توضح مجموعة الاتفاقيات الراهنة ان الائتلاف الحاكم الجديد في إسرائيل يحمل أكثر الميول اليمينية تطرفاً في تاريخ البلد. يقود ثلاثة سياسيين المعسكر المتعصب

ايدولوجيا في الائتلاف الجديد، علما ان نتياهو يبدو متساهلا مقارنة بهم. السياسي الاول هو ايتمار بن غفير، مساعد الرجل الذي اسس منظمة "كاش" السياسية العنصرية والمؤيدة للعنف (صنفت كمنظمة اهابية وخارجة عن القانون في العام 1994 بعدما قتل احد مناصريها 29 مسلما). السياسي الثاني هو بتسليل سموتريتش، زعيم المستوطنين اليهود المتطرفين في الضفة الغربية، وقد اعتقل في العام 2005 وفي حوزته 200 غالون من الوقود يشبه بأنه كان يخطط لاستعمالها لتخريب البنى التحتية الوطنية ومنع إسرائيل من ازالة المستوطنات في غزة، لكن سرعان ما اطلق من دون توجيه التهم ضده. اما السياسي الثالث فهو افي معوز، رئيس حزب ديني قومي صغير ومتعصب يهدف الى تطهير نظام التعليم والخدمة المدنية ووسائل الاعلام الاسرائيلية من الليبراليين والحركة النسوية والمثليين.

يدرك هؤلاء المتطرفون الثلاثة ان نتياهو معروف بعوده الكاذبة، لذا طالبوا بصلاحيات دستورية جديدة قبل الموافقة على جعله رئيس الوزراء وحصلوا على ما يريدونه. سيقود بن غفير الشرطة الاسرائيلية ودوريات الحدود وهو يملك صلاحيات وزارية غير مسبقة. وسيحصل سموتريتش على كامل الحرية لتوسيع المستوطنات ودعم ضم اراضي الضفة الغربية الى إسرائيل. اما معوز، فيسكون مسؤولا عن التعليم خارج المناهج المعتمدة وسيحصل على ميزانية خاصة لترسيخ الهوية اليهودية في إسرائيل.

سارعت الحكومة الاسرائيلية الجديدة بقيادة رئيس الوزراء بنيامين نتياهو الى تنفيذ اجندة قومية متطرفة، تتضمن حظر استعراض

العلم الفلسطيني، علاوة على زعزعة اسس الديمقراطية داخل إسرائيل من خلال هجوم قانوني مقترح ضد المحكمة العليا. بعد اسبوعين فقط في السلطة، شرعت أكثر حكومة متشددة وذات صيغة دينية في تاريخ إسرائيل، في تأجيج الانقسامات في الداخل والتحرك نحو الصدام مع الفلسطينيين وحلفاء إسرائيل في الخارج. زار وزير الامن القومي بحكومة نتياهو، ايتمار بن غفير، أكثر الاماكن المقدسة حساسية داخل القدس. واعتبر الكثيرون الزيارة في حد ذاتها استفزازا، بالنظر الى دعواته السابقة لمنح المصلين اليهود قدرة أكبر على دخول المكان. واثارت الزيارة تنديدات من الجانب الفلسطيني وبيانات غاضبة من الولايات المتحدة وحلفاء إسرائيل من العرب. اضافة الى ذلك، هناك خطط لوقف تطوير قرى فلسطينية داخل اجزاء خاضعة للسيطرة الاسرائيلية في الضفة الغربية. وحظر استعراض العلم الفلسطيني داخل إسرائيل، بل وفضت السلطات الاسرائيلية اجتماعا لعدد من اولياء الامور الفلسطينيين في القدس الشرقية، كانوا يناقشون اوضاع ابنائهم في المدارس. وادعت إسرائيل ان الاجتماع جرى تمويله من قبل السلطة الفلسطينية، من دون توفير دليل يدعم هذا الادعاء. من جهته، اتهم رئيس الوزراء الفلسطيني محمد اشتية إسرائيل بمحاولة اسقاط السلطة ودفعها نحو الحافة، ماليا ومؤسسيا.

أكثر ما يثير قلق المراقبين الدوليين على الأرجح هو اصرار نتياهو على اعتبار الشعب اليهودي الطرف الوحيد الذي يملك الحق في امتلاك "ارض إسرائيل" كلها. يعتبر هذا المبدأ من اهم التوجهات الرسمية في الحكومة الجديدة. لتنفيذ وعده بدعم المستوطنات



وتطويرها في جميع الاراضي التي تسيطر عليها إسرائيل، من المنتظر ان يوسع نتياهو وجود الشعب اليهودي في الضفة الغربية عبر انتزاع اراض اخرى من الفلسطينيين. ستعتمد حكومته الى دمج المستوطنات الراهنة مع النظام الاسرائيلي القانوني والحكومي عبر خطوات مثل منح صفة قانونية كاملة للبور الاستيطانية الناشئة من دون موافقة الحكومة. لتحقيق هذه الاهداف، منح نتياهو سلطة مطلقة الى سموتريتش لادارة المستوطنات. هو يخطط لتبني مجموعة من التدابير، منها زراعة الاشجار في الاراضي غير المأهولة، ودعم الرعاة اليهود لطردهم الفلسطينيين من الاراضي التي تطمع بها إسرائيل.

لا حاجة الى ان نعرف ان إسرائيل العام 2023 هي بلد عنصري جدا ومتقدم جدا. بمعنى انها أكثر عنصرية وأكثر تقدما علميا واقتصاديا عن الاعوام السابقة، وان نظام التمييز العنصري يزداد تكرسا، فكيف اذا كان اليهود غرب نهر الاردن باتوا يمثلون 47 في المئة من مجموع السكان، وهم الاسرائيليون ومستوطنو الضفة، قياسا بالعرب الفلسطينيين في إسرائيل والضفة الغربية

طابع العلاقة بين الدين والدولة. كما انها تؤدي الى مزيد من التوتر مع الفلسطينيين، مع جنوح حكومة نتياهو الى تبني سياسات أكثر تشددا تجاه الفلسطينيين، اذ ان اغلبية الاحزاب لا تؤمن بأي سلام او مفاوضات او حلول مع الفلسطينيين، وتؤمن بضرورة ضم اجزاء من الضفة الغربية او منطقة الاغوار الى السيادة الاسرائيلية وتنفيذ "صفقة القرن"، وتغيير الواقع في المسجد الأقصى وتطبيق التقسيم فيه، زمانيا ومكانيا، وتشجيع التوسع الاستيطاني، وترفض الجلوس الى طاولة المفاوضات مع الفلسطينيين. ومن المتوقع ان يزداد الضغط على السلطة الفلسطينية بهدف تفكيكها وتقويضها. كل ذلك سيؤدي الى اندلاع مزيد من المواجهات والصدامات قد تفضي الى انتفاضة جديدة تتحسب لها جيدا الحكومة الاسرائيلية اليمينية الجديدة.

عام 2023 يحتاج الى رصد عرب الداخل الاسرائيلي البالغ عددهم 20 في المئة من السكان، سكان دولة إسرائيل، كما هو معروف، والى مدى ما يمكن ان يتشكل من صيغ سياسية من جهة عرب 48 للتفاعل مع فلسطيني الضفة، وليس القطاع لأن سيطرة حركة حماس على قطاع غزة قد لا تجعل فلسطيني 48 راغبين في صيغ مشتركة معها ويفضلون وسائل احتجاج أكثر تأثيرا في الرأي العام الغربي، وأكثر مقبولة، في نظرهم، في نضالهم ضد نظام التمييز العنصري الاسرائيلي المتفاقم.

هناك مؤشرات عديدة على ازدياد راديكالية شبان الضفة ومخيماتها. لكن كيف ستكون الصورة مع الحكومة الاسرائيلية الجديدة التي يحتل فيها المتطرفون مواقع اساسية في التعامل مع الفلسطينيين؟ وهل تستطيع الولايات المتحدة تحمل إسرائيل عنصرية الى هذا الحد؟ وكيف ستدير معارضتها للحكومة الجديدة؟ وكيف ستوفق ادارة الرئيس جو بايدن بين خط دعم واشنطن التاريخي غير المشروط لإسرائيل وبين استيعاب سلطة احزاب اليمين المتطرف وزعيمهم الراهن بنيامين نتياهو؟

### نتياهو خضع لابتنزاز اليمين المتطرف، لاستعادة السلطة والاضلات من المحاكمة

وقطاع غزة، الى حد ينقل الكاتب توماس فريدمان عن احد الباحثين الديموغرافيين تحذيره من الخطر على الديمقراطية المتأاتي عن نشوء اقلية (يهودية) حاكمة.

هذه السياسة المتطرفة ستؤدي الى المزيد من الانقسامات داخل المجتمع الاسرائيلي، وقد يؤدي صعود اليمين المتطرف الى تقسيم إسرائيل بشكل أكبر، بسبب الايديولوجيات والاراء العنصرية والسياسات المتشددة التي يتوقع ان تتبناها حكومة نتياهو، في ظل الازمات التي يشهدها المجتمع الاسرائيلي، سواء على الصعيد السياسي او الاقتصادي او الاجتماعي، وفي اطار ما يشهده هذا المجتمع من تصاعد حالة الانقسام في شأن